عبد التواب يوسف

تاريخ زاخر بالعطاء الإبداعى والنقدى

رحل – فى هدوء شديد– عن دنيانا صباح يوم الاثنين الموافق ٢٨ سبتمبر ٢٠١٥، الكاتب المصرى الكبير عبد التواب يوسف عن عمر يناهز ٨٧ عاما، فى نفس يوم رحيل الزعيم جمال عبد الناصر، بعد صراع طويل مع المرض، لم يمنعه عن المشاركة فى المحافل والفعاليات التى تهتم بأدب وثقافة الطفل، ولم يمنعه أيضا عن حضور اجتماعات لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة، التى كان أحد أعضائها المؤسسين، وهو أحد أبرز الكتاب العرب الذين اهتموا بالكتابة للأطفال والناشئين، وأغزرهم إنتاجا، وأكثرهم حضورا على الساحة الثقافية العربية، فكتب لهم فى مجال الإبداع قصا، ومسرحا، وبحوثا، ودراسات نقدية فى كتب، وترجم العديد من كتب الأطفال الأجنبية، وقدم لهم أيضا أعمالا إذاعية، تتنوع بين المسلسلات والبرامج الهادفة التى كان يؤديها نخبة من ألمع مذيعى الإذاعة المصرية، أمثال: حسن شمس "عمو حسن"، و محمد محمود شعبان "بابا شارو"، ومن أشهر هذه البرامج برنامج "غنوة وحدوتة" الذى

كانت تؤديه بصوتها الطفولى الجميل، فضيلة توفيق "أبلة فضيلة"، وقد تربى عليه جيلى والأجيال السابقة، وكان من أنجح البرامج الإذاعية للأطفال، وظل يقدم لسنوات طويلة، وقد شاركه فى كتابته الشاعر الراحل نادر أبو الفتوح.

تقول الدكتورة سهير القلماوى: "نذر عبد التواب يوسف قلمه لأدب الأطفال كما أنه منذ وقت مبكر استطاع أن يميز ما بين أدب الأطفال والكتابة للأطفال، إن هناك كثيرين يكتبون للأطفال لكن الكثيرين هم الذين أنتجوا أدبا حقيقيا، وهو فى طليعتهم كما وكيفا، إذ إنه حافظ رغم وفرة إنتاجه على جودته، وقد اتجه بأدبه هذا إلى كل أشكاله المتعارف عليها، رواية وقصة، شعرا ومسرحا، وكان أول أعمال عبد التواب يوسف الروائية "حسان وإحسان فى دار ابن لقمان" التى نشرتها له إبان تحملى مسئولية رئاسة مجلس إدارة الهيئة العامة المصرية للكتاب، ومنذ ذلك الحين توالت أعماله الروائية فى مقدمتها "خيال الحقل" الذى لقى إقبالا كبيرا من الأطفال".

ولد عبد التواب يوسف أحمد، فى مدينة "الفشن" بمحافظة بنى سويف عام ١٩٢٨م، وحصل على بكالوريوس العلوم السياسية، من جامعة القاهرة عام ١٩٤٩م، عمل فى بداية حياته الوظيفية مشرفا على برامج الإذاعة المدرسية بوزارة التربية والتعليم المصرية، ثم رأس قسم الصحافة والإذاعة والتليفزيون بهما، وتفرغ للكتابة للأطفال منذ عام

١٩٧٥م، وهو صاحب فكرة إصدار مجلة إسلامية للأطفال اسمها (الفردوس) فى عام ١٩٦٩، وكانت تصدر على شكل ملحق مع مجلة (منبر الإسلام) التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ولازالت تصدر حتى الآن ولكنها انفصلت –منذ عام تقريبا– عن مجلة منبر الإسلام، لتصبح مجلة أطفال خاصة بالطفل المسلم.

وحصل على العديد من الجوائز من مصر والعالم العربى، فى مجال أدب الأطفال، منها: جائزة الدولة التشجيعية فى أدب الأطفال عام ١٩٧٥، مع وسام الفنون والعلوم من الطبقة الأولى، وجائزة الدولة التقديرية فى أدب الأطفال عام ١٩٨١، مع وسام الجمهورية من الطبقة الثانية، وجائزة اليونسكو العالمية فى محو الأمية عام ١٩٧٥م، والميدالية الذهبية من اتحاد الإذاعات العربية، وجائزة أفضل كاتب أطفال عام ١٩٩٨م، إضافة إلى بعض الجوائز العالمية.

قدم عبد التواب يوسف للمكتبة العربية ما يزيد عن ٦٢٠ كتابا للأطفال فى شتى المجالات، منهم ٥٩٥ كتابا طبعت فى مصر، ١٢٥ كتابا طبعت فى الدول العربية، إلى جانب ٤٠ كتابا للكبار، ويقول دكتور محمود الضبع: "تعاون عبد التواب يوسف مع كل دور النشر المصرية، ومعظم دور النشر العربية، وطبعت كتبه فى طبعات كثيرة، ومن أهم مؤلفاته للأطفال:

- سلسلة "هيا نقرأ" وتضم ثلاثين عنوانا، منها: الكتاب غال- الكتاب إنسان- المستثمر الصغير- النمل والعدل- مذكرات تلميذ- أنا أقرأ فأنا موجود- طارد الطيور- الفأر القارض للشعر.
- سلسلة "حكايات مصرى فى أمريكا" ومنها: الخلود لمصر، بلد آمن- منصف ريفى- صديقى الحقيقى.
- سلسلة "كتب إسلامية" وتضم: محمد خير البشر- أبطال الإسلام- كوكب الأرض- عمرو فى مصر- راية الإسلام تعلو فى عمان.
- سلسلة "قصص للصغار" منها: شرف المحاولة- الحالة السادسة- أرنب لطيف- الطائر المغرد- اختيار صعب- حيوانات عصرية.
- سلسلة "قصص عربية" ومنها: الحصان الوفى- الصياد والصغار والوزير المكار- يوم الحصاد- سلطان العلم- مائدة الحب.
- سلسلة "أولادنا" وتضم: الأربعة الذين سرقوا الزمن- عميل فى المصيدة- سميراميس- صديقى فوق الشجرة.
- سلسلة "الوقت من ذهب"، ومنها: سيف الوقت- ساعة من عمرك- حفل آخر السنة- الوقت المطاط- الحيوان والزمان.

obeikandl.com

- سلسلة "المكتبة الخضراء" وتضم ما يزيد عن خمسين عنوانا، منها: سندريلا- السلطان المسحور- البجعات المتوحشات- الأميرة الحسناء- عروس البحر- عقلة الإصبع- جبل العجائب.
- سلسلة "يحكى أن" ومنها: العنزة الخضراء- عمرو والطائرة الورقية- عقد من قطرات الندى.
- سلسلة "مكتبتى" ومنها: شجار الأشجار- سطور مضيئة- أنت ومالك لأبيك- كوكب الأرض السجين- المقعد المتحرك.
- سلسلة "إنجاز بامتياز" ومنها: شرق العوينات- المدينة المتحركة- مترو الأنفاق- دلتا الصعيد توشكى- النيل يعبر ترعة السلام.
- سلسلة "غزوات القرن الحادى والعشرين" ومنها: صناعة الأقمار- الجرار التذكار- قطرة ماء- ثرثرة من التراث- حرب البحار.
- سلسلة "الرواية العالمية" منها: وداعا مستر تشيبس (تأليف جيمس هايلتون)- زبلن.
- سلسلة "قصص الأنبياء للأبناء".
- سلسلة "محمد خاتم النبيين، وسلسلة رجال الأعمال، وسلسلة حكايات توشكى، وسلسلة اللقاء الفريد بين

obeikandl.com

علماء العرب وعلماء الغرب، وسلسلة رائدة المعارف الصغرى للتربويين، وسلسلة كيف ترسم، وسلسلة غنوة وحدوته، وسلسلة لغتنا الجميلة– الحروف الضاحكة، وسلسلة البيئة، وسلسلة لغتنا الجميلة حكايات نحوية، وسلسلة لغتنا الجميلة وعلامات الترقيم، وسلسلة حكايات عائلية، وسلسلة حكايات مدرسية ضاحكة، وسلسلة هيا نتفوق، وسلسلة محمد خير البشر، وباختصار يمكن القول إنه لا توجد دار نشر فى مصر لم يكن لها نصيب من نشر مؤلفات عبد التواب يوسف وقصصه للأطفال.

ومن أشهر كتبه، كتاب "خيال الحقل" الذى نشر عام ١٩٧٠م وقرر على الصف السادس الابتدائى بالمدارس المصرية، وطبع منه ٣ مليون نسخة، ويقول الفنان صلاح بيصار: "جسد فيه بين الواقع والخيال روح القرية من ماضى ظلم الفلاح من الباشوات إلى التطور الذى حدث بها واسترداد حقوق أبنائها بعد الثورة، يحكى فيه الناطور حركة مجتمع الفلاحين وأبنائهم من الأطفال بإحدى القرى المصرية"، وكتاب "حياة محمد فى ٢٠ قصة" الذى صدر برسوم الفنان صلاح بيصار، وترجم إلى الانجليزية حيث طبع منه ما يزيد على ٧ مليون نسخة، وفاز بجائزة "الآفاق الجديدة" من معرض بولونيا الدولى وهو أكبر معرض لكتب الأطفال فى العالم، ويحكى فى هذا الكتاب قصة سيرة سيد البشر والأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن بطريقة

جديدة حيث جعل كل كائن أو جماد يصف من وجهة نظره علاقته بالنبى محمد عليه السلام، فبدأ من الفيل فى الحكى عن قصة أصحاب الفيل، ثم بحمارة حليمة السعدية، ثم ليلة القدر، وهكذا حتى يصل إلى راية الإسلام التى تحكى كيف مات النبى بعد أن رفع راية الإسلام عالية.

كما يعد كتابه "الرسول فى عيون أندرسون" فى قائمة الشرف من المجلس العالمى للكتاب "الآبى" فرع لندن عام ٢٠١٣م.

وكما يقول الناقد الأردنى موفق رياض مقدادى: "فعندما كتب عبد التواب يوسف حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان صحيحا البخارى ومسلم رفيقين له فى كتابته، إضافة إلى كتب السيرة، والكاتب لا يضيف شيئا من عنده، واقتصرت محاولته على ترتيب حياة الرسول منذ طفولته وشبابه، ومرحلة الوحى، ثم ما بين الوحى والهجرة وختام رحلة النبى".

وإضافة إلى هذا القصص الدينى فإن عبد التواب يوسف يعد من الكتاب المتميزين، حيث جمع بين الكتابة للأطفال، والدراسات النقدية، وكتابة المقالة، والمسرحية والتمثليات الإذاعية والتليفزيونية، والاسهام فى المؤتمرات المختلفة على مستوى الوطن العربى، مما جعله كما يرى النقاد أن نتاجه الإبداعى يجمع "بين الاهتمام بالتراث العربى، والتراث الشعبى "الفلكلورى"، والعناية بالعصر، سواء فى طبائع ومشكلات الحياة الاجتماعية (الواقعية)، وقراءة

الآداب الأجنبية، والإفادة من منجزاتها الفنية فى مجال أدب الأطفال، فضلا عما اتجه إليه من كشف عن جهود الرواد–فى مصر– الذين سبقوا جيله فى الكتابة للأطفال".

اتجه عبد التواب يوسف نحو القصص الواقعية، فقد رأى أنه من الخطر إغراق الطفل فى الخيال، الأمر الذى يبدد طاقته الواقعية، ويجعله يحيا دائما فى أحلام اليقظة، ويهرب من مواجهة الواقع، كما أننا ندفعه عن طريق الإغراق فى التصورات إلى تحويل الخيال إلى أكاذيب.

لم يقتصر الانتاج الأدبى الطفولى لعبد التواب يوسف على كتابة القصص، والمسرحيات، والتمثليات الإذاعية، فقط، بل أصدر مجموعة من الكتب والبحوث فى المجال النقدى، منها: "ألف ليلة وحكايات الطفولة" صدر عن دار ثقافة الطفل– بغداد ١٩٨٦م، "الطفل العربى والأدب الشعبى" عن المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م، "كامل كيلانى وألف ليلة وليلة": فصول، القاهرة، م٩، ع٢، ١٩٩٤م، شعر الأطفال: اختيار وتقديم عبد التواب يوسف، "كتابة السيرة الشعبية للأطفال" مؤتمر السيرة الشعبية – جامعة القاهرة ١٩٨٥م، "هل تصلح القصص الشعبية للأطفال" لإدارة الآداب، تونس، ١٩٨٦م، "حكايات الحيوان فى ألف ليلة وليلة" القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٥م، "عن أدب الطفل– مجموعة مقالات– صدر عن هيئة قصور الثقافة ١٩٩٥م، ورغم أن عبد التواب يوسف كاتب قصصى

إلا أنه كان من أشد المتحمسين لتقديم شعراء الأطفال فى مصر والوطن العربى والكتابة عنهم، فكتب كتابا عن أمير الشعراء أحمد شوقى بعنوان "ديوان شوقى للأطفال" صدر فى دار المعارف عام ١٩٨٩م، ويقول فى مقدمته: "أقبل الأمير شوقى من أرض عبقر يمتطى صهوة حصانه الأبيض – أيكون الشعر حصانا أبيض؟ ولم يختطف الأميرة كما تقول الحكايات لكنه اختطف خاطرة من هنا وخاطرة من هناك ونظم منها عقودا وقلائد، طوق بها عنق الأطفال وحمل إليهم هداياه ودرره نثرها عليهم فى سخاء وكانت درره أغلى من أن يدركوا حقيقة قيمتها إلا مع الزمن الطويل وما أكثر عشرتهم له، لكنه "أمير" وطيب وحسن النية، كان طفلا كبيرا يريد أن يمتع قبيلته من الأطفال الذين يحبهم ويريد أن يعلمهم ويربيهم ويأخذ بيدهم إلى طريق الخير والنور، وقد كتب شوقى العديد من القصائد التربوية والقصصية وحرص يوسف على تقديم القصائد وشرح ما يلزم منها بهدف تقريب النصوص إلى وجدان هذا القارىء الصغير" وكتاب قدم فيه الشاعر المصرى محمد الهراوى، جمع ودراسة لأشعاره، بعنوان "أشعار محمد الهراوى للأطفال" وكان أول من تفرغ كلية لكتابة شعر الأطفال، ويقول فى قصيدة تحية اللقاء "هل تعلمون تحيتى، عند الحضور إليكم، أنا إن رأيت جماعة، قلت السلام عليكم"، وكذلك قدم الشاعر المصرى إبراهيم العرب بعد أن كان

منسيا فى كتاب، بعنوان: "الطفل والشعر، ديوان الشاعر المصرى إبراهيم العرب للأطفال" جمع ودراسة لأشعاره، صدر عن الهيئة العامة المصرية للكتاب عام ١٩٨٩م، يقول فى مقدمته: "قرأت قصائده القصصية، أو حكاياته الشعرية، قبل عدة سنوات، أمتعنى، وتوقفت عند اسمه طويلا: "ابراهيم العرب"، اسم غير مألوف، ولم أعرف إلى أى بلد ينتمى، وكم سعدت حين عثرت على ثلاث من أعماله فى كتاب للمطالعة يحمل عنوان: المشوق، كان معدا عام ١٩٣٧م من أجل أطفال القدس، رد الله غربتهم وغربتها، وكانت المفاجأة أن الكتاب ترجم له فى بضع كلمات تقول: «شاعر مصرى معاصر، قد اشتهر بكتابه آداب العرب، وهو مجموعة أمثال عن الحيوانات، ممتازة بعروبة إنشائها وسلاسته ولباقته» وقد استطعت أن أحصل على هذا الديوان، وكانت فرحتى به كبيرة، واحتفظت به كنزا ثمينا غاليا، إلى أن إكتشفت ذات يوم أنه فقد من مكتبتى، وكم شعرت بأسف وحزن عميقين، ومرت سنوات، وكلما تذكرته أحسست بغصة فى حلقى، وأسى فى نفسى، وتردد علىّ ابن من أبناء كلية اللغة العربية، كان يعد رسالة للماجستير عن قصص الحيوان الشعرى، وأشرت لهذا الديوان فى واحدة من جلستنا التى كنت أحاول خلالها أن أساعده على إنجاز عمله، وقلت له إننى كنت أقتنى هذا الديوان وفقدته، وإذا به ذات يوم يقدم لى نسخة من الديوان هدية».

ولا أنسى أن الراحل قدمنى أنا والشاعر الراحل أحمد زرزور بعد حصولى على جائزة الدولة التشجيعية فى شعر الأطفال عام ٢٠٠٣، فى برنامج تليفزيونى على القناة الثقافية المصرية بعنوان: «مكتشف النجوم» وتحدث عن دواوينى الشعرية فى الإذاعة المصرية أكثر من مرة، وكتب حلقة إذاعية عن قصتى «دكان العم أحمد» التى صدرت عن المركز القومى لثقافة الطفل عام ٢٠٠٧م.

ويقول عبد التواب يوسف عن فضل القراءة فى بحث منشور له بعنوان : (الأسرة وقراءات الأطفال) عام ١٩٩٧م:

«القراءة مدخل للتعليم وأوسع أبوابه وسوف تثير لدى القراء كما كبيرا من الفضول كلما أقبلوا عليها، وسوف تفتح شهيتهم إليها كما يحدث من رائحة الطعام، وكلما زاد حب الاستطلاع لديهم زادت قراءاتهم وتحسنت وراحوا يتعرفون على عالمهم بصورة أفضل وتثرى حياتهم بشكل أكبر ويكتسبون من المهارات ما يعينهم على صياغة مستقبلهم.

وكما تنمو العضلات بالتدريب والرياضة ينمو العقل وقواه بفضل القصص الذهنى تحدثه القراءة المتوالية فى شتى الموضوعات لكى يصبح قارئا على مدى العمر كله ويصبح الكتاب مصدرا للمعرفة ورفيقا مستمرا فيه متعة وسلوى، لأن الكتب تقوم بتكليف الأفكار وبلورة الآراء، واثارة المشاعر والأحاسيس بما يعد إضافة حقيقية لحياتنا وأيامنا على

هـذه الأرض بجانـب تراكمهـا طبقـات فـوق طبقـات بصـورة تصبـح معهـا منجمـا أو كنـزا يمكـن لصاحبـه أن يسـحب منـه مـا يشـاء سـاعة أن يشـاء، ، ويقـول الـدوس هكسـلى: «إن مـن يعـرف كيـف يقـرأ تصبـح لديـه القـدرة علـى تحقيـق ذاتـه، والرقـى بنفسـه، ومضاعفـة أسـاليب حياتـه، وإدراك أسـباب وجـوده، بجانـب أن ذلـك يجعـل أيامـه مليئـة وثريـة وشـائقة وهامـة وجديـرة بـأن تعـاش».

ويقـول أيضـا فـى بحـث لـه بعنـوان: (الانترنـت والتثقيـف الذاتـى للطفـل):

«إن موضـوع التثقيـف الذاتـى للطفـل فـى حاجـة ماسـة إلى منهـج، سـواء كان ذلـك مـن خـلال الوسـائل التقليديـة أو عـبر جهـاز الكمبيوتـر: كتابـا ألكترونيـا أو انترنـت، ولسـوف نـوالى القضيـة بالاهتمـام، ونواليهـا كل عنايـة ورعايـة، وصـولا إلى هـدف منشـود، هـو:

— مـا الـذى يجـب أن يعرفـه الطفـل ويتعلمـه ويتثقـف بـه خـلال مراحـل نمـوه المختلفـة؟».

ويقـول فـى كتابـه (عـن أدب الطفـل) فـى مقـال بعنـوان: «الأدب العربـى مـن خـارج مصـر»:

«يقـرأ الطفـل المصـرى بالعربيـة، ومما لاشـك فيـه أن الأدب العربـى الـذى يصـدر خـارج مصـر يعتـبر رافـدا هامـا، يصـب فـى أدبنـا المصـرى، ويثريـه، وتفـد إلى مصـر مجـلات عـدة

من أرجاء متفرقة من الوطن العربى: ماجد من الامارات، باسم من السعودية، أحمد من لبنان، مجلتى من العراق،. إلخ، وهذه أيضا تشارك فى تقديم ألوان جديدة من الأدب لأطفالنا، خاصة فى مجال الشعر، الذى برزت فيه أسماء عدة من خارج مصر: سليمان العيسى من سوريا، فاروق سلوم من العراق، محمد الظاهر من الأردن، على الشرقاوى من البحرين، محمد صيام من الكويت،. وكلهم مبدعون استطاعوا أن يصيغوا قصائد جميلة لأطفالنا، ولاشك أن أدب الأطفال النثرى تقدم كثيرا فى العراق وسوريا، وترد إلينا كتب من مؤلفين رسخوا أقدامهم فى ميدان الأدب والقصة للأطفال من بينهم زكريا تامر، عادل أبو شنب، وشريف الراس، وعبد الرازق المطلبى، وعبد الستار ناصر، إلى جوار عدد كبير من المترجمين، وضعوا أيديهم على أعمال حديثة وكلاسيكية عالمية للأطفال، نقلوها إلى اللغة العربية من خلال دار ثقافة الأطفال، وظهرت فى طبعات مقبولة السعر، جيدة فى مادتها واخراجها».

رحم الله الكاتب الكبير عبد التواب يوسف الذى أثرى المكتبة العربية بإبداعه القصصى والمسرحى والنقدى للأطفال، ودوره الايجابى بالمشاركة فى الكثير المؤتمرات والملتقيات المصرية والعربية الخاصة بأدب وثقافة الطفل.